مراجعات في نقد الاستشراق :

الاستشراق والإسلام

أ.د.علي بن إبراهيم النملة
أستاذ المكتبات والمعلومات

ملخص البحث :

هذا البحث الذي بين يدي القارئ هو البحث الثاني في سلسلة من البحوث حول مفهوم "نقد الاستشراق". يركّز على مراجعات في نقد الاستشراق في موقفه من الإسلام. وسبقه بحثٌ عن المفهوم نفسه "نقد الاستشراق"، من حيث المنهجيّة في النقد. ويليه ـ بحول الله تعالى وقوّته ـ بحثان آخران؛ أحدهما في موقف الاستشراق من القرآن الكريم؛ نزوله وإعجازه وترجمة معانيه. والثاني في موقف الاستشراق من سنّة الرسول ﷺ وسيرته ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

تأتي كلمة مراجعات في عنوان هذا البحث مقصودةً، بحيث يتّضحُ من طبيعة المراجعات أنّ التدخُّل الشخصي فيما تتمُّ مراجعته محدودٌ جدًّا؛ إذ يغلب على المراجعات العرض الموضوعي، وإن لم يخلُ الأمر من التدخُّل، متى ما اقتضى الأمر ذلك. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنّ هذه المراجعات ستكون ـ بإذن الله تعالى ـ مقدّمات لمشروع بدأه الباحث منذ سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م في رصد وراقي "ببليوجرافي" لما كُتب عن الاستشراق باللغة العربية. وظهرت نواته سنة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م بعنوان: (الاستشراق في الأدبيات العربية: عرض للنظرات وحصر وراقي للمكتوب).

استهلال:

الحمد لله ربِّ العالمين الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام رسول الله محمَّد بن عبدالله، سيِّد الأوَّلين والآخرين، وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين، وبعد

فهذا البحث الذي بين يدي القارئ هو البحث الثاني في سلسلة من البحوث حول مفهوم "نقد الاستشراق". يركِّز على مراجعات في نقد الاستشراق في موقفه من الإسلام. وسبقه بحثٌ عن المفهوم نفسه "نقد الاستشراق"، من حيث المنهجيَّة في النقد. ويليه ـ بحول الله تعالى وقوَّته ـ بحثان آخران؛ أحدهما في موقف الاستشراق من القرآن الكريم؛ نزوله وإعجازه وترجمة معانيه. والثاني في موقف الاستشراق من سنَّة الرسول ﷺ وسيرته ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

تأتي كلمة مراجعات في عنوان هذا البحث مقصودةً، بحيث يتَّضحُ من طبيعة المراجعات أنَّ التدخُّل الشخصي فيما تتمُّ مراجعته محدودٌ جدًّا؛ إذ يغلب على المراجعات العرض الموضوعي، وإن لم يخلُ الأمر من التدخُّل، متى ما اقتضى الأمر ذلك. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنَّ هذه المراجعات ستكون ـ بإذن الله تعالى ـ مقدِّمات لمشروع بدأه الباحث منذ سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م في رصد وراقي "بليوجرافي" لما كُتب عن الاستشراق باللغة العربية. وظهرت نواته سنة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م بعنوان: **الاستشراق في الأدبيات العربية: عرض للنظرات وحصر وراقي للمكتوب**، وصدر عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض في ٣٧٠ صفحة.

ويتوقَّع الباحث أن تكون الطبعة الثانية من هذا الرصد في خمسة كتب ـ إن شاء الله تعالى ـ، بعدما توفرت للباحث موادٌّ منشورة باللغة العربية، تدعو إلى هذا

المدى من العدد من الإصدارات. هذا بالإضافة إلى تحميلها في قاعدة معلومات إلكترونية.

وحيث تمَّ عرض هذا البحث على الفاحصين الأفاضل فإنَّ الباحث يمتنُّ على الإضافات التقويمية للبحث من قبلهم، وقد أخذ بها؛ لما اتَّسمت به من موضوعية وفتحت للباحث جوانبَ من التقصير لم تكُن قد بانت له من قبلُ، وهذه من ميزات تحكيم البحوث العلمية. فلهم جميعًا الشكر والامتنان. كما أنَّني أشكر هيئة التحرير بمجلَّة جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية، ورئيس تحريرها الزميل الأستاذ الدكتور فهد العسكر، على قبولهم نشر هذا البحث ضمن بحوث المجلَّة. وفَّقهم الله تعالى إلى الخير. وكان الله في عون الجميع.

* * *

التمهيد :

يعدُّ الحديث عن الإسلام، من حيثُ كونُه ديناً سماوياً خاتماً، بُعث به رسولٌ، هو آخر الرسل والأنبياء، وأُنزل به كتابٌ، هو آخر الكتب المنزَّلة، من المسلمَّات التي بقوم عليها هذا الدين، ويؤمن بها جميع المسلمين. إلا أنَّ الإسلام، بهذه الكيفية، لم يكن موضع قبول عامٍّ، من بعض العرب، والأمم المحيطة بجزيرة العرب، منذ أنْ صدح به رسول الله مُحَمَّد بن عبدالله ﷺ في مكَّة المكرَّمة ثم في المدينة المنوَّرة. فقد لاقى رسول الله ﷺ عنتاً في تبليغ الرسالة بين قومه وذويه، ثم امتدَّ الإنكار إلى رقعة أوسع، كلَّما زاد انتشار الإسلام.[1]

رأت بعض الأمم المجاورة أنَّ في انتشار الإسلام تهديدًا لوجودها، وتأثيرًا على مصالحها بين الناس، فناصبت هذا الدين العداء. ومع ذلك فإنَّ هذا الدين ظلَّ محفوظًا بحفظ الله تعالى له، وظلَّ الإقبال عليه مستمرًّا، بحيث انتشر بين الأمم بالقدوة والدعوة، كما انتشر بينها بالفتوحات،[2] بما في ذلك النفوذ إلى أوروبا عن طريق التجارة، من خلال (السوق الضخمة) مدينة «البندقية التي كانت تعتمد على التجارة المشرقية، وتحافظ على الطريق البحرية إلى القسطنطينية (إسطنبول فيما بعد)، وإلى الإسكندرية (المشبَّهة غالباً بالبندقية)، وإلى الشاطئ المشرقي على امتداد معظم هذه المرحلة».[3]

---

(١) نظر: مُحَمَّد فتح الله الزيادي. **انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منه**. ـ بيروت: دار قتيبة، ١٤١١هـ/١٩٩٠م. ـ ٢٠١ ص.

(٢) انظر: مُحَمَّد علي عمر الفرَّا. **الإسلام والغرب: مواجهة أم حوار!**. ـ عمَّان: دار مجدلاوي، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م. ـ ٢٢٤ ص.

(٣) انظر: جاك غودي. **الإسلام في أوروبا**/ تعريب جوزف منصور. ـ بيروت: عويدات، ٢٠٠٦م. ـ ص

يُعدُّ الاستشراق أحدَ الروافد التي عرف الغرب من خلالها الإسلام، إلا أنَّها معرفة لم تكن، في مجملها، دقيقةً. وسيتبيَّن من هذه المراجعة أنَّ الاستشراق، في مهمَّته هذه، قد اتَّكأ على معلومات شعبية غربية قديمة، ذات بعد ديني مسيحي، مما كان له الأثر الكبير في تلقِّي الغرب للإسلام، بل الأثر الكبير لهذه الفجوة بين الغرب والإسلام، قبل أنْ تنطلق حروب الفرنجة من الغرب إلى الشرق.[1]

* * *

١١٩. والطريف في هذا الأمر أنَّ البابوية كانت لا تقرُّ التعامُل التجاري مع "غير المؤمنين".

(١) انظر: توماش ماستناك. السلام الصليبي/ ترجمة بشير السباعي.ـ القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣م.ـ ص ١٤٣ ـ ٢٣٢.

الوقفة الأولى :الاستشراق والحروب الصليبية :

حملت أوروبا على الإسلام حملات حربية، سمَّيناها حروب الفرنجة، واصطُلح في أوروبا على تسميتها بالحروب الصليبية،[1] لأنَّها حملت الصليب معها متَّجهة إلى أرض الشام ومصر، وكان المحاربون يعلّقون شارة الصليب على صدورهم.[2] واستمرَّت هذه الحروب لمئتي عامٍ، من سنة ٤٩١هـ، الموافق لسنة ١٠٩٨م إلى سنة ٦٩٠هـ، الموافق لسنة ١٢٩١م. ووصل عدد هذه الحملات إلى تسع حملات، كان هدفها الأوَّل والمعلن هو تحرير أرض الشام ومصر من المسلمين، والتنعُّم بأرض السمن والعسل، أرض الميعاد. ثم تأتي الأهداف الأخرى، التي لا تصادَر في هذه الحملات، كالهدف الاقتصادي.

على أيِّ حال، فقد كثر الحديث حول الحروب الصليبية، من حيث دوافعُها وأهدافُها، وسعى بعض الكتَّاب إلى استبعاد الدافع الديني، وقصر هذه الحملات على الدافع الاقتصادي، رغم أنَّ الجهة التي جاء منها الفرنجة الصليبيون، في ذلك الوقت، كانت تنعم بالخيرات الكافية، في ظاهر الأرض وباطنها، دون الحاجة إلى قطع هذه المسافات على البهائم، تحمل الصليب على أكتافها، للفوز بمكسب اقتصادي.

يقول **عمر لطفي العالم** في مقدِّمته للطبعة الأولى من كتاب **تاريخ حركة الاستشراق ليوهان فوك**: «في القرن الميلادي العاشر أطلق البابا أوربان الثاني

---

(١) سمَّى المسلمون هذه الحملات بحروب الفرنجة، وتسمية الحروب الصليبية جاءت من الصليبيين أنفسهم. انظر: أمين معلوف. **الحروب الصليبية كما رآها العرب**/ ترجمة: عفيف دمشقية.ـ ط ٢.ـ بيروت: دار الفارابي، ١٩٩٨م.ـ ٣٥٢ ص.

(٢) انظر: مُحَمَّد علي عمر الفرَّا. **الإسلام والغرب: مواجهة أم حوار**!.ـ مرجع سابق.ـ ص ٣٠.

صيحة ارتعشت لها الأجنَّة في البطون، سارت أوروبًّا بعدها نحو الشرق بين راغب في الجنة، وطامع في الثروة، أو أسير لشهوة القتل وحبِّ الانتقام».[(١)]

المهم أنَّه على مدى قرنين من الزمان تشكَّلت العلاقة بين الغرب والإسلام، ولا يزال هذان القرنان يحدِّدان هذه العلاقة. يقول كلٌّ من **أحمد الجهيني ومُحَمَّد مصطفى**: «وقد لعبت الحروب الصليبية دورًا لا يمكن تجاهُله في تشويه صورة الإسلام. فقد «استمرَّ تيار الدعاية يتدفَّق ضد المسلمين بالأكاذيب إلى جميع أنحاء أوروبًّا، التي أمدَّت الحروب الصليبية بالمال والعتاد قرونًا عديدة. ولم تكن الأنباء التي يحملها العائدون من المعركة قريبةً من الصدق. ومن أجل ذلك فقد امتلأت عقلية السواد الأعظم من أبناء أوروبا بكثير من المعلومات المكذوبة عن الإسلام والمسلمين، ولم تتمكَّن حركة تثقيف الشعوب في العصر الحديث من إزالة هذه الأفكار بعد».[(٢)]

هذا الخطاب الديني المسيحي ذو التوجُّه السياسي هو الذي شكَّل الاستشراق التقليدي، فقد ورث المستشرقون هذا الخطاب وحافظوا عليه. وتمثَّل هذا الخطاب «في كون الإسلام نسخة مشوَّهة، أو صورة معدَّلة ضالَّة للمسيحية».[(٣)] وأنَّه هرطقة، وخروج عن تعاليم المسيح **عيسى بن مريم** ـ عليهما السلام ـ، وما إلى

(١) انظر مقدّمة المترجم في: يوهان فوك. تاريخ حركة الاستشراق: الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتَّى بداية القرن العشرين/ تعريب عمر لطفي العالم.ـ دمشق: دار قتيبة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.ـ ص ٧.

(٢) انظر أحمد الجهيني ومُحَمَّد مصطفى. الإسلام والآخر.ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامَّة للكتاب، ٢٠٠٥م.ـ ص ١٧٦.

(٣) انظر أحمد الجهيني ومُحَمَّد مصطفى. الإسلام والآخر.ـ المرجع السابق.ـ ص ١٧٨ ـ ١٧٩.

ذلك من الاتِّهامات الجُزافية، التي لا تنبئ عن روحٍ علميةٍ، أو عدلٍ في إطلاقِ الأحكام.[1]

لذا يؤرِّخ بعضُ المعنيين بالدراسات الاستشراقية بداياتها بالحملات الصليبية. والذي يظهر أنَّها بدأت قبل ذلك بزمن، منذ انطلق الطلبة الأوروبيون إلى الأندلس وصقلية، لنقل علوم المسلمين إلى أوروبَّا، فقد كان من أهداف هذه البعثات دراسة الإسلام، والعمل على التصدِّي له فكريًا، جنبًا إلى جنب مع التصدِّي الحربي، الذي قد لا يُجدي أمام القوَّة الإسلامية، التي طرقت أبواب أوروبا، من جنوبها الغربي أولاً، ثمَّ من شرقها. ومع هذا لم تخلُ هذه المرحلة من التأثُّر بعلوم المسلمين، بل وأنماط حياتهم، بالتشبُّه بالمسلمين في عاداتهم ولباسهم، وأنماطهم العلمية.[2]

بلغ هذا التأثُّر بالإسلام مبلغاً كبيراً حتى لقد قيل إنَّ اللباس العربي أضحى علامةً للوجاهة العلمية، إلى اليوم، لاسيَّما في المناسبات العلمية، كمناقشة الرسائل العلمية وحفلات التخرُّج في المؤسَّسات التعليمية والعلمية. «لقد كانت إسبانيا المسلمة بمثابة السير الناقل العظيم الذي لولاه لضاع الأدب اليوناني الكلاسيكي والفلسفة اليونانية القديمة التي تمَّت ترجمتها إلى العربية، واحتفظت بها إسبانيا هناك إلى حين انتقالها إلى أوروبا، بعد ترجمتها من العربية إلى اللاتينية».[3] ويقول **جاك غودي**: «وفي إيطاليا أثَّر وجود المسلمين كذلك في الحياة

---

(١) انظر: مُحَمَّد علي عمر الفرَّا. **الإسلام والغرب: مواجهة أم حوار!**. ـ مرجع سابق. ـ ص ٥٢.

(٢) انظر: محمود حمدي زقزوق. الإسلام والاستشراق. ـ ص ٧١ ـ ١٠٢.

في: نخبة من العلماء المسلمين. **الإسلام والمستشرقون**. ـ جدة: عالم المعرفة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. ـ ٥١١ ص.

(٣) انظر: عبدالله العلي العليان. **الإسلام والغرب ما بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١**. ـ الدار البيضاء: المركز الثقافي

اليومية. واحتلَّ العرب صقلية لمدَّة قرنين قبل أنْ يسودها النورمان عام ١٠٩١، وحتَّى بعد ذلك كان إمبراطور النورمان، روجيه الثاني يلبس ثوباً عربياً في البلاط، ويتكلَّم العربية، ويعلِّم الفنون والعلوم العربية، ويستخدم أصحاب الحِرَف العرب الذين بنوا الكاتدرائية الرائعة والدير في مونريال (١١٧٢)».(١)

يقول **مُحَمَّد عبدالله مليباري** عن هذه الاقتباسات: «بدأ الغرب أوَّل ما بدأ ينفض عن ذهنه آثار الهجعة المظلمة التي عاشها طوال أربعة قرون بالعودة إلى الشرق، حيث قامت حضارة إسلامية مزدهرة توغَّلت في أرجاء العالم الشرقي كله، وجزءٍ من أوروبا الغربية، ودون أنْ يفكِّر في الموضوعات الكبرى لأوجه الاختلافات عن طبيعة الإنسان الأصيلة، وعن مركزه في الحياة، راح ينهل من ذلك المعين. وعندما أحسَّ بالاختلافات الناجمة عن الطبيعة الذاتية، حاول إنكار الفكر الإسلامي كحقيقة قائمة، معزياً أنَّ نقطة انطلاقه بدأت بالحضارة اليونانية التي واصلت مسيرتها حتى انتهت إليه. وكان للاستشراق دوره الفعَّال في كل المراحل التي سار فيها التاريخ الحضاري الأوربي الحديث، ابتداءً من مرحلة الاقتباس، فالانتهال، فالأفكار، فالعودة إلى الحقِّ بالاعتراف لدور الأمَّة الإسلامية في الحضارة الإنسانية، وفعاليته في تكوين الفكر العلمي والأدبي».(٢)

تجاهُل هذا التأثير الإسلامي على أوروبَّا يمكن أنْ يُعدَّ مظهرًا من مظاهر الاستشراق. وهو، كذلك، مظهرٌ من مظاهر التأريخ للنهضة الأوروبية، لكنه

العربي، ٢٠٠٥م.ـ ص ٢٠٠.

(١) انظر: جاك غودي. **الإسلام في أوروبا**.ـ مرجع سابق.ـ ص ١١٠.

(٢) انظر: مُحَمَّد عبدالله مليباري. **المستشرقون والدراسات الإسلامية**.ـ الرياض: دار الرفاعي، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.ـ ص ٣٦.

تجاهُلٌ لا يثبُت أمام حقيقة أنَّ للإسلام أثرًا واضحًا في هذه النهضة، سعى **جاك غودي**، وآخرون منصفون مثله، إلى توكيده، من خلال استعراض الوجود الإسلامي في أوروبَّا إلى اليوم، حيث تزيد الجالية المسلمة على خمسة عشر مليون مهاجر، رغم قلَّة تأثيرهم السياسي، مقارنةً بالدهلَزَة (اللوبي) الصهيونية.(١)

تبع تجاهُل التأثير الإسلامي على أوروبَّا تجاهُل الإسلام نفسه، وقلَّة المكتوب عن الإسلام بموضوعية، بحيث عمد الراغبون في التعرُّف على الإسلام إلى إسهامات بعض المستشرقين، التي لم تحقِّق الرغبة في الوصول إلى المعلومة الصحيحة عن هذا الدين. تقول **كارين آرمسترونج**: «هناك ندرة مذهلة في الكتب التي تتناول سيرة مُحَمَّد بين أيدي عموم القرَّاء (عندنا في الغرب). إنني مدينة ـ تحديدًا ـ للمجلَّدَين اللذين كتبهما مونتغمري واط /مُحَمَّد في مكَّة/ و /مُحَمَّد في المدينة، لكن كليهما قد وُضِعا للدارسين، ويفترضان معرفة أساسية مسبَقة بحياة مُحَمَّد ليست متوفِّرة لدى كلِّ شخص. وكتاب **مارتن لينغز** /مُحَمَّد: سيرته استنادًا إلى أقدم المصادر/ يقدِّم فيضاً من المعلومات المدهشة، مأخوذة من كُتَّاب سيرة مُحَمَّد في القرن الثامن والتاسع والعاشر. لكن **لينغز** يكتب للمؤمنين . . . من المحتمل أنَّ السيرة المتداولة في الوقت الحاضر والأكثر جاذبية للقرَّاء هي تلك التي كتبها **مكسيم رودنسون** بعنوان /مُحَمَّد/، . . . لكنه يُدوِّن هذه السيرة كريبي ودنيوي».(٢)

---

(١) انظر: جاك غودي. **الإسلام في أوروبا**.ـ مرجع سابق.ـ ٢٣٢ ص.

(٢) انظر: كارين آرمسترونغ. **الإسلام في مرآة الغرب: محاولة جديدة في فهم الإسلام**/ ترجمة مُحَمَّد الجورا.ـ ط ٢.ـ دمشق: دار الحصاد، ٢٠٠٢م.ـ ص ١٨.

الوقفة الثانية :المستشرقون والإسلام :

ليس المجال هنا، مجال الحديث عن عموميات الاستشراق، من حيث مفهومُه وتاريخُه ودوافعُه وأهدافُه ووسائلُه وارتباطاتُه بالاستعمار والتنصير واليهودية، فقد أُشبعت هذه التمهيدات بحثاً، وخضعت، مثل قضايا أخرى غيرها، للاختلاف والنقاش. وشابها شيءٌ من الحدَّة والقسوة في الطرح، كما شابها شيءٌ من اللين في جانب آخر من الطرح.

تركَّزت الوقفات عن الاستشراق والإسلام على موقف المستشرقين من الإسلام، على اعتبار أنَّ المستشرقين لم يكونوا، جميعًا، مجرَّد علماء أكاديميين فحسب، بل كان منهم المستشارون لهيئات سياسية ودينية في الغرب. وشغل رهطٌ منهم مناصبَ رسميةً في وزارات الحربية والخارجية والاستعمار، إبَّان وجود الاستعمار، ووجود وزارات له. ولا يزال بعضهم يزاول دورًا استشاريًا في بعض وزارات الخارجية والدفاع والمؤسَّسات الاستخباراتية. **برنارد لويس**، نموذجًا.

لم يكن كل المستشرقين كذلك، بل كان منهم علماءُ خدموا التراث الإسلامي بالتحقيق والدراسة والترجمة والحفظ والفهرسة والتكشيف. لكن من الملاحظ أنَّه من غير الشائع في المنشور العربي عن الاستشراق، في موقفه من الإسلام، أنْ تقف على تركيز على البعد الحسن/الإيجابي لهذه الخدمات. وهذا يعدُّ مأخذًا على هذه الفئة من الذين كتبوا نقدًا للاستشراق، ربَّما بافتراض أنَّ الاستشراق كان كله ضررًا على الإسلام، وأنه خوَّف الغرب من الإسلام، وأنه يتحمَّل ما وصلت إليه العلاقة بين الشرق والغرب. ولم تخلُ هذه الأحكام من المغالاة والمبالغة.[1]

(١) انظر: نديم نجدي. **أثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر عند إدوارد سعيد ـ حسن حنفي ـ عبدالله العروي**. ـ بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٥م. ـ ص ٩ ـ ٢١.

من المهمِّ، عند البحث في الاستشراق والإسلام، الابتعاد عن التعميم في الأحكام، إذ إنَّ ما يُقال عن موقف بعض المستشرقين من الإسلام يدخل، في جانبٍ منه، في حيِّز الأقوال الإيجابية التي تُستلُّ، أحيانًا، من سياقها، وتوظَّف لمصلحة هذا المستشرق أو ذاك.(١) والأقوال السلبية المأخوذة عن بعض المستشرقين هي، كذلك، قد تُنتزع من النصِّ بعيدًا عن السياق الذي جاءت فيه.

من هنا لزم أنْ تكون الإدانة لهذه الفئة من المستشرقين، الذين يثبت من السياق أنَّهم أساؤوا لهذا الدين. وقد أساء إليه مستشرقون كثيرون، بناء على نيَّة مبيَّتةٍ عند فئة منهم، وبناء على عدم انتمائهم لهذا الدين، عند فئة ثانية، وبناء على جهلهم بلغة هذا الدين، عند فئة ثالثة. وفئة رابعة اتَّكأت على أعمال المستشرقين السابقين، الذين كانوا أشدَّ حدَّةً من المتأخِّرين، فبنوا على هذا الاتِّكاء نظرياتهم التي سعوا إلى تسويقها بين الغربيين والشرقيين.

الفئة الخامسة، من المستشرقين في مواقفهم من الإسلام، هي تلك الفئة التي وقعت في أخطاء يقع فيها المؤلِّفون عمومًا، فهي مردودة عليهم. وهذا يقتضي قدرًا من الجهد في تتبُّع الحالات واحدةً واحدة.(٢)

ينقل **إسماعيل أحمد عمايرة** عن **رودي بارِت** قوله: «ونحن في هذا نطبِّق على الإسلام وتاريخه، وعلى المؤلَّفات العربية التي نشتغل بها، المعيار النقدي الذي نطبِّقه على تاريخ الفكر عندنا، وعلى المصادر المدوَّنة لعالمنا نحن».(٣)

---

(١) انظر: أحمد بن حجر آل بو طامي آل بن علي. **الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب**.ـ ط ٣.ـ الدوحة: مكتبة الثقافة، ١٤٠٣هـ.ـ ٢٠٦ ص.

(٢) تتبَّع أحمد عبدالوهَّاب رهطًا من المستشرقين، واقتبس منهم شواهد عن الإسلام في الفكر الغربي. انظر: أحمد عبدالوهَّاب. **الإسلام في الفكر الغربي: دين ودولة وحضارة**.ـ القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، ١٩٩٣م.ـ ١٤٤ ص.

(٣) انظر: إسماعيل أحمد عمايرة. **المستشرقون والمناهج اللغوية: المنهج التاريخي، المنهج المقارن، المنهج**

يعلّق **إسماعيل أحمد عمايرة** على عبارة **رودي بارت** بقوله: «فالمستشرق مرتبط ارتباطًا وثيقًا بما يدور حوله من حركات علمية. ولعلَّ في هذا ما يفسِّر الدهشة والاستغراب اللذين يرتسمان على وجه المسلم وهو يقرأ كتابات المستشرقين. فهم يقيسون الأمور بموازين مختلفة، إلى حدٍّ كبير، عن مقاييسنا. بل إنَّ اختلاف المقاييس هو الذي أوقع كثيرًا من المستشرقين في الخطأ وهم يزنون بها ثقافةً أخرى مختلفة، كما أوقعنا ذلك في خطإٍ مقابلٍ حين أقدمنا على تقويم أعمالهم دون معرفة كافية بطبيعة مناهجهم، ومستلزماتها والاستنتاجات المترتِّبة عليه».[(١)]

الوقفة الثالثة: تصنيف المستشرقين:

بتتبُّع ما كتبه النقَّاد، من عرب أو عجم، حول أطروحات المستشرقين عن الإسلام، يمكن الخروج بتصنيف دقيق لمواقف المستشرقين من الإسلام، يُبنى هذا التصنيف على الاستقراء. ولا يكفي، فيما يبدو، أنْ تدرس حالة متمثِّلة في مستشرق كتب عن الإسلام، ثم يعمد الباحث إلى تعميم أحكامه على طائفة المستشرقين كلهم.

العمق في دراسة الاستشراق وتوجُّهات المستشرقين كفيلٌ بالخروج بحكم موضوعي على هذه الظاهرة. وهناك سعي إلى تصنيف دراسة المستشرقين للإسلام، من منظور سلبي، من حيث نظرتُهم لهذا الدين، إلى العوامل الآتية:

- الافتراضات المسبَّقة.
- الادِّعاء المتعمَّد.

الوصفي، المنهج الإحصائي.- ط ٢.- عمَّان: دار حنين، ١٩٩٢م.- ص ١٣.

(١) انظر: إسماعيل أحمد عمايرة. المستشرقون والمناهج اللغوية.- المرجع السابق.- ص ١٤.

- الخطأ في الاستنتاج.
- توارث الآراء.
- التجزئة.
- عدم الدقّة في استعمال المصطلحات.
- استخدام صيغ الشكّ.
- التعميم.[1]

حاول النقّاد الأوّلون من العرب والمسلمين هذا المنهج في تصنيف الدراسات الاستشراقية عن الإسلام، لكنَّهم وقعوا تحت تأثير أزمة الثقة بالاستشراق والمستشرقين، بعد أنْ سبقهم مَن وقع تحت تأثير الانبهار بذلك، بشكل متطرِّف، أوجد شكلاً متطرِّفًا في موقف بعض العلماء المسلمين من هذه الدراسات، جاء هذا ردَّ فعل لذاك التوجُّه المتطرِّف السابق. ولقد قيل: إنَّ التطرُّف يولِّد تطرُّفًا معاكسًا له، ومضادًّا له.

الذي يبحث عن شواهدَ وأدلَّةٍ لتوجُّهٍ حسنٍ أو سيءٍ، إيجابيٍّ أو سلبيٍّ، سيجد كثيرًا منها في إسهامات المستشرقين.[2] والذي يسعى إلى الاستقراء لا بُدَّ أن يقف على هذه الشواهد.[3] وتبرز نبرات الاحتراز لدى مَن يستقرئون الشواهد

---

(١) انظر: مُحَمَّد فتح الله الزيادي. الاستشراق: أهدافه ووسائله، دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون.ـ طرابلس (ليبيا): المؤلِّف، ١٩٩٨م.ـ ص ١١٦ ـ ١٢٤.

(٢) انظر: أحمد عبدالوهَّاب. الإسلام في الفكر الغربي: دين ودولة وحضارة.ـ القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، ١٩٩٣م.ـ ١٤٤ ص.

(٣) انظر: عرفان عبدالحميد. المستشرقون والإسلام: محاولة أولية لتفهُّم الأسس التاريخية لطبيعة العلاقات الفكرية بين الإسلام والغرب.ـ ط ٢.ـ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٠م.ـ ٢٩ ص. وانظر، في

الاستشراقية الإيجابية لمواقف بعض المستشرقين من الإسلام.[1] ذلك أنَّ هاجس اتِّهامهم بأنَّهم من تلاميذ المستشرقين يرد في مثل هذه المواقف. وهو هاجسٌ لا يُصادر، ولكنه لا يُعمَّم.

الوقفة الرابعة: التأثُّر والتأثير:

هكذا ضاعت المسألة الاستشراقية بين هذين الاتِّجاهين، التأثُّر والتأثير، فأضحيت تبحث عن الخطِّ الوسط بينهما، فلا تكاد تجده إلا لدى بعض المتأخِّرين، الذين تعمَّقوا في دراسة الاستشراق. وربَّما درس بعض هؤلاء المتعمِّقين على مستشرقين، فخالطوهم وعرفوا عنهم مواقفهم. وهناك نماذج يمكن سردُها من هذه الفئة المتوسِّطة من النقَّاد، لولا أنَّه يُخشى أنْ تحسب على أنَّها أميل إلى الفئة المتأثِّرة منها إلى الفئة الرافضة لفكرة الاستشراق. ذلك أنَّه ثبت أنَّ معظمَ الدارسين على المستشرقين لا بُدَّ أنْ يتأثَّروا إيجابًا بهم، من قريب أو بعيد.[2] وإنْ لم يتأثَّر بعضهم بالفكر الاستشراقي، تأثَّر بالمنهجية التي يسير عليها الاستشراق في دراسته للإسلام. ويرى بعض الكُتَّاب هذا التأثير من مسوِّغات سعي اليهود في الغرب والشرق للسيطرة على مراكز الدراسات الاستشراقية في الجامعات الأجنبية.[3]

المقابل: صالح زهر الدين. **الإسلام والاستشراق**.ـ بيروت: دار الندوة الجديدة، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.ـ ص ٣٣ ـ ٤٣.

(١) انظر: محمود حمدي زقزوق. **الإسلام والاستشراق**.ـ القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.ـ ٣٦ ص.

(٢) انظر: مُحَمَّد الدسوقي. **الفكر الاستشراقي: تاريخه وتقويمه**.ـ المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.ـ ص ٥٢ ـ ٥٣، و١٥٦ ـ ١٥٧.

(٣) انظر: عبدالقهَّار داود عبدالله العاني. **الاستشراق والدراسات الإسلامية**.ـ عمَّان: دار الفرقان،

يدخل هذا القول في الأحكام التعميمية، التي افترضت قوَّة تأثير الاستشراق على الطلبة المسلمين، لاسيَّما منهم مَن لديه أزمة ثقة بدينه، دون النظرة العكسية من قِبَل طلبة مسلمين آخرين، لا تظهر عليهم عوامل أزمة الثقة بهذا الدين، فيبلِّغونه للآخر، ويسعون بهدوء إلى تقديمه إلى هذا الآخر، من خلال الحوار الهادئ في قاعات المحاضرات وأروقة الجامعات، والمقالات والبحوث في الدوريات والكتب.(١) ونتيجةً لذلك يبرزُ تأثُّر المستشرقين وغيرهم بالإسلام، كما يؤثِّرون في المسلمين.(٢)

مع عدم إغفال هذا البعد في التأثُّر، ومع عدم إغفال الأقوال السيئة عن الإسلام من قِبَل كثير من المستشرقين، ومحاولة إقصائه، باعتباره مؤثِّرًا في حياة أتباعه، وبالتالي حياة الآخرين،(٣) فإن النظرة من وجه واحد، هو الوجه السلبي للاستشراق، قد يضفي على الاستشراق والمستشرقين، في موقفهم من الإسلام،

١٤٢١هـ/٢٠٠١م.ـ ص ١١.

(١) انظر، مثلاً، تأثير الشيخ مُحَمَّد حسنين عبد الرزَّاق وغيره من علماء العربية على المستشرق هاملتون جب لدى: ناصر عبدالرزَّاق الملاَّ جاسم. **الإسلام والغرب: دراسات في نقد الاستشراق**.ـ عمَّان: دار المناهج، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٤م.ـ ص ١٧١ ـ ١٧٢.

(٢) انظر، مثلاً: مكارم الغمري. **مؤثِّرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي**.ـ الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.ـ ٣٢٨ ص.ـ (سلسلة عالم المعرفة؛ ١٥٥). وانظر، أيضًا: كاتارينا مومزن. **جوته والعالم العربي**/ ترجمة عدنان عبَّاس علي، مراجعة عبدالغفَّار مكاوي.ـ الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.ـ ٣٨٤ ص.ـ (سلسلة عالم المعرفة؛ ١٩٤).

(٣) انظر: محسن جاسم الموسوي. **الاستشراق في الفكر العربي**.ـ بيروت: المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٣هـ.ـ ٢٠٦ ص.

قوَّة خارقة، لا يقوى المسلمون على اختراقها. وهذا موقفٌ فيه من التهويل ما يستحقُّ المراجعة. لاسيَّما مع وجود شواهد حيَّة لهذا الجانب من التأثُّر الإيجابي، يمكن رصدها في حياة بعض المستشرقين.

الصورة «ليست قاتمة تمامًا، إذ من القديم كان بعض الأوروبيين قادرين على بلوغ نظرة أكثر توازنًا، لكنهم كانوا دائمًا قلَّة، وكانت لهم إخفاقاتهم. لقد حاولتْ هذه الحفنة من الناس تصحيح الأخطاء التي وقع فيها معاصروهم، والارتفاع فوق مستوى الرأي الذي نُقل إليهم. وبكلٍّ تأكيد علينا الآن أنْ نشجِّع هذا التراث المتسامح، المتراحم والشجاع».[1]

الوقفة الخامسة :الاستشراق والتنصير :

الوقوف على إسهامات المستشرقين حول الإسلام ضرورة يحتِّمها الانتماء الثقافي، رغم تهوين بعض المعنيين من هذا التوجُّه.[2] ولدى بعض المستشرقين مواقف ليست مشرِّفة عن الإسلام، لأسباب ذات علاقة بالدوافع والأهداف، فلقد استغلَّ التنصيرُ، مثلاً، الاستشراقَ في تحقيق بعض أهدافه، عندما تبيَّن للمنصِّرين أنَّ مسألة تنصير المسلمين غير متحقِّقة، وأنَّ مسألة تحويلهم "ارتدادهم" عن الإسلام، دون الدخول بالضرورة في النصرانية، غير متيسِّرة، في مقابل الجهود التي تبذل لذلك، فانحرف التنصير، في بعض أهدافه الابتدائية، وفي مفهومه، إلى تشويه الإسلام في أذهان المسلمين.

---

(١) انظر: كارين آرمسترونغ. **الإسلام في مرآة الغرب: محاولة جديدة في فهم الإسلام**.- مرجع سابق.- ص ١٩.

(٢) لا يرى مُحَمَّد قطب متابعة المستشرقين والردَّ عليهم في كل ما يكتبونه، وإن كان بعضه ضروريًا ومفيدًا. انظر: مُحَمَّد قطب. **المستشرقون والإسلام**.- القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.- ص ٣١٤- ٣١٨.

هذه فكرةٌ طرحها المنصِّر المستشرق، المعروف جيدًا في منطقة الخليج العربية خاصَّةً، السموأل (صاموئيل) زويمر، الذي مارس خطابًا قائمًا على تحشيدٍ فجٍّ من المغالطات والافتراءات، لا يخاطب بها «بالتأكيد أناسًا على دراية طيبة بالإسلام في دينه وتاريخه وحضارته، إذ إنَّ هذه الأكاذيب لا تنطلي إلا على محدودي الثقافة، أو على وجه الدقَّة، من انحصرت ثقافتهم بما تلقَّوه من مصادر المعرفة الغربية».(١)

هذا التحوُّل في الأهداف التنصيرية يقتضي جهدًا فكريًا علميًا، يغوص في هذا الدين وما كتبه أهله عنه، ثم استخراج ما يمكن أنْ يعدَّ من نقاط الضعف فيه، من وجهة نظر المستشرق، أو الناقد الآخر، في المسلم نفسه، وليس وجود نقاط ضعف محقَّقة في واقع الدين نفسه، فليس في الدين نقاطُ ضعف، فتُكبَّر هذه النقاط، من قبل الآخر، وينظر إليها على أنَّها اتِّهامات للدين نفسه.(٢) أي أنَّ نقاط التقصير في المسلمين أنفسهم تؤخذ على أنَّها نقاط تقصير في الدين نفسه، فتكون تلك التقصيرات حُجَّةً على الإسلام، بينما هي حُجَّةٌ على المسلمين، فليست بالتالي مواطنَ اتِّهام لهذا الدين الحنيف.

مع التوكيد على أنَّ استخدام تعبير الآخر، هنا، يأتي من منطلق ثقافي، لا من منطلق عرقي، كما هو الشائع من استخدام اللفظ في الغرب، ومن هذا المنطلق فإنَّ الآخر لا يظلُّ، دائمًا، آخرَ. ومن هنا يأتي الإشكال في إطلاق هذا اللفظ من مفهوم ثقافي.(٣) ومن هذا المفهوم لا يسمح اللفظ أنْ ينطبق على أوروبَّا الأمس

---

(١) انظر: ناصر عبدالرزَّاق الملاّ جاسم. **الإسلام والغرب: دراسات في نقد الاستشراق**. ـ مرجع سابق. ـ ص ٤٤ ـ ٤٧.

(٢) انظر: أبو الحسن علي الحسني الندْوي. **الإسلاميات بين المستشرقين والباحثين المسلمين**. ـ ص ١٥ ـ ٦٩. في: نخبة من العلماء المسلمين. **الإسلام والمستشرقون**. ـ مرجع سابق. ـ ٥١١ ص.

(٣) انظر: خيري منصور. **الاستشراق والوعي السالب**. ـ بيروت: المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر،

واليوم، إذ لا يجوز أنْ يُرى الإسلام «كمغتصب لأوروبًا المسيحية أكثر ما تعتبر هذه الأخيرة محطِّمة الأوثان وأسواط اليهود. وكلهم كان لهم ألقاب تثبت وجودهم، ولكن لا يجوز، بالسير إلى هذا الهدف، أنْ يعتبر أحدٌ نفسَه الآخر فقط، بل هو جزء من أوروبًا وجزء من ميراثنا». كما يقول **جاك غودي.**[(١)] ومن ثمَّ يصبح الإسلام، من حيث تأثيرُه، أحدَ الروافد الثقافية الثلاثة لأوروبا.[(٢)]

المقصود هو تمثُّل هذه الثقافة في النظرة إلى الآخر، الاستشراق هنا، وإنْ ظهر التفاوت في هذا التمثُّل، كما هي الحال لدى **إدوارد سعيد**، **وأنور عبد الملك وعبدالله العروي وحسن حنفي** كنماذج تصدَّت لإطروحات المستشرقين في نظرتهم إلى الإسلام، وإصرار بعضهم على اتِّباع أسلوب إثارة الشُّبه.[(٣)]

اقتضى هذا الأسلوبُ، في إثارة الشُّبه، البحثَ في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهَّرة والسيرة النبوية الشريفة، ثم الخوضَ في سِيَر أمهات المؤمنين والصحابة، من كُتَّاب الوحي، ورواة الحديث، وقادة الفتوحات الإسلامية، ثم التشكيكَ في الفقه الإسلامي، وأنَّه مستمدٌ من القانون الروماني، وأنَّ هذا الدين إنَّما هو صورة مشوَّهة عن اليهودية والنصرانية،[(٤)] بحجَّة أنَّ رسول الله ﷺ مخترع هذا الدين، وأنَّه قد عرف «شيئًا قليلاً من عقائد اليهود والنصارى».[(٥)] وأنَّه ﷺ كان يتَّصل، قبل

٢٠٠١م.ـ ص ١٣٥ ـ ١٥٠.

(١) انظر: جاك غودي. **الإسلام في أوروبا**.ـ مرجع سابق.ـ ص ٢٥.

(٢) انظر: جاك غودي. **الإسلام في أوروبا**.ـ المرجع السابق.ـ ص ٨٢ ـ ١١٩.

(٣) انظر: نديم نجدي. **أثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر عند إدوارد سعيد ـ حسن حنفي ـ عبدالله العروي**.ـ مرجع سابق.ـ ص ٩ ـ ٢١.

(٤) انظر: شوقي أبو خليل. **الإسلام في قفص الاتِّهام**.ـ ط ٥.ـ بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.ـ ص ٣١٤ ـ ٣١٧.

(٥) انظر: شوقي أبو خليل. **الإسلام بدعة نصرانية، الإسلام مقتبسٌ من اليهودية والنصرانية**.ـ ص ١٥ ـ ٤٣.

بعثته، بالأحبار والرهبان، داخل مكّة المكرَّمة وخارجها. فالتشكيكَ في الفتوحات الإسلامية ودوافعها، وأنَّها إنَّما قامت لأسباب اقتصادية،[(١)] وأنَّ الإسلام قد انتشر بالقوَّة والإكراه، التي يُعبَّر عنها بالسيف،[(٢)] وهكذا من الشُّبه التسقُّطية، التي تصدَّى لها العلماء والمفكِّرون المسلمون والعرب، وأكثروا من الردود عليها ودحضها.[(٣)]

اختلفت الردود على شبهات المستشرقين حول الإسلام في مداها وفي أسلوب التعامُل مع هذه الشبُهات، بحسب قوَّة الشبُهات وموقف العلماء المسلمين منها. ويمكن تصنيف هذه المواقف إلى خمسة أنواع، كما يصنِّفها **مُحَمَّد أبو الفتح البيانوني**:

- موقف العلم بها وبأسبابها ودوافعها، والردُّ العلمي عليها.
- موقف الغفلة عنها وعن أسبابها، أو التساهُل معها، حتى شاعت في صفوف كثير من المسلمين.

في: شوقي أبو خليل. **أضواء على مواقف المستشرقين والمبشِّرين**.ـ ط ٢.ـ طرابلس (ليبيا): جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ١٩٩٩م.ـ ٢٦٤ ص.

(١) انظر: جميل عبدالله مُحَمَّد المصري. **دواعي الفتوحات الإسلامية ودعاوى المستشرقين**.ـ دمشق: دار القلم، ١٤١١هـ/١٩٩١م.ـ ١١١ ص.ـ (سلسلة بحوث في التاريخ الإسلامي؛ ٣).

(٢) تصدَّى زكريا هاشم زكريا لهذه الشُّبهة بإفاضة. انظر: دين السلام.ـ ص ٤٣ ـ ٥٨. في: زكريا هاشم زكريا. **المستشرقون والإسلام**.ـ القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.ـ ٦١٢ ص.ـ (سلسلة لجنة التعريف بالإسلام؛ ٢٠). وانظر: نبيل لوقا بباوي. **انتشار الإسلام بحدِّ السيف بين الحقيقة والافتراء**.ـ القاهرة: دار البباوي، ٢٠٠٢م.ـ ١٩٢ ص.

(٣) تولَّى عبدالعظيم إبراهيم مُحَمَّد المطعني الوقوف على بعض هذه الشُّبه وسعى إلى الردِّ عليها. انظر: عبدالعظيم إبراهيم مُحَمَّد المطعني. **افتراءات المستشرقين على الإسلام: عرض ونقد**.ـ القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.ـ ٢٠٨ ص.

- موقف التأثُّر بها وتصديقها، والدفاع عنها.
- موقف الردِّ عليها ردًّا عاطفيًا مجرَّدًا، لا يقوى على دفعها.
- موقف الدفاع الضعيف المنطلق من مركَّب النقص الذي أصاب كثيرًا من شباب المسلمين في العصر الحديث.[1]

الوقفة السادسة: الاستشراق وأثره في علاقة الغرب بالإسلام:

أسهم الاستشراق في تحديد العلاقة بين الإسلام والغرب. ولم يكن هذا الإسهام، في عمومه، إيجابيًا. وبالتالي يمكن القول: إنَّ الاستشراق، في بعض وجوهه، كان له أثرٌ واضح في هذه الفجوة بين الشرق والغرب، في الوقت الذي كان يتوقَّع فيه أنْ يكون هذا الاستشراق لبناتٍ في تجسير الفجوة، إذا ما تيسَّر للاستشراق، بعمقه البحثي، أنْ يتفهَّم الإسلام تفهُّمًا إيجابيًا، فيقدِّم الاستشراقُ صورةً حسنةً للغرب عن الشرق، وفي المقابل يمكن أنْ يقدِّم الاستشراقُ نفسُه للشرق صورةً حسنةً عن الغرب، فيما يمكن أنْ يُعدَّ الانطلاقة لمفهوم الاستغراب.

ربما يكون الاستشراق الإسباني هو أقرب الاستشراقات إلى تجسير الفجوة، أو ردم الهوَّة بين الغرب والشرق الإسلامي؛ نظرًا لخصوصية هذا الاستشراق في علاقته التاريخية والثقافية بالإسلام، أثناء الوجود الإسلامي في الأندلس وبعده.[2]

ذلك أنَّ الاستشراق الإسباني قد اختلف عن البقية، بتركيزه على البحث في الثقافة العربية والإسلامية في الأندلس، أي أنَّ اهتمام المستشرقين الإسبان

---

(١) نظر: مُحَمَّد أبو الفتح البيانوني. الشبهات المثارة حول الإسلام وموقف المسلم تجاهها.ـ ص ٦١ ـ ٨٥. في: دراسات استشراقية وحضارية: كتاب دوري محكَّم.ـ المدينة المنورة: كلية الدعوة، مركز الدراسات الاستشراقية والحضارية.ـ ع ١ (١٤١٢هـ/١٩٩٣م).ـ ٣٩٦ ص.

(٢) انظر: مُحَمَّد عبدالواحد العسري. الإسلام في تصوُّرات الاستشراق الإسباني من ريموندس لولوس إلى أسين بلاثيوس.ـ الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامَّة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.ـ ص ٣٦٨ ـ ٣٦٩.

بالإسلام جاء ضمن اهتمامهم بالأندلس، ولذلك فضَّل المستشرقون الإسبان أنْ يُدعوا بالمستعربين، أو المتأندلسيين؛ «ليعلنوا بذلك عن بعض علامات هويَّتهم العلمية المميَّزة لهم عن بقية زملائهم من الغربيين. تلكم العلامات التي تتجسَّد عندهم في خصوصية علاقتهم بالإسلام والعرب والعروبة. فمن المعلوم أنَّهم قد تميَّزوا بالفعل في هذا المضمار عن هؤلاء من وجوه عديدة».[١]

يأتي الاستشراق الألماني في المرتبة الثانية، إذا كان لا بُدَّ من الترتيب، في الموقف من الإسلام، في بُعده السياسي، ذلك أنَّ المستشرقين الألمان لم يخدموا الاستعمار بالصورة التي خدمها فيه الاستشراق الفرنسي أو الإنجليزي أو الإيطالي، وحتَّى الاستشراق الهولندي. وهذه ترتيبات تتركَّز في جانب واحد، وهو الاستشراق السياسي. وهو جزء من كلٍّ لا يُعفي هذه الاستشراقات من نظرتها السلبية للإسلام، في منطلقها، وإنْ كان هناك انفراجٌ في النظرة؛ نظرًا لتطوُّر التراكُم المعرفي الغربي عن الإسلام.

يقول مكسيم رودنسون: «إنَّ دراسة اللاهوت الإسلامي بروح المودَّة والتعاطُف، ولكن مع أخذ المسافة النقدية، لا تزال متواصلة في أوروبَّا من قبل علماء ينتمون إلى مختلف الاتجاهات الروحية، بمن فيهم العلماء المسيحيون الذين يطبِّقون العقلانية التومائية». وهذه «الموجة السائدة حاليًا في أوروبا والتي تشمل قطاعًا واسعًا ومهمًّا من الرأي العام تمثِّل التيار المضادَّ للاستعمار وللعرقية المركزية».[٢]

---

(١) انظر: مُحَمَّد عبدالواحد العسري. الإسلام في تصوُّرات الاستشراق الإسباني.ـ المرجع السابق.ـ ص ٦٥ ـ ٦٦.

(٢) انظر: مكسيم رودنسون. الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا.ـ ص ٤٣ ـ ٨٣.

على أنَّ هناك جملةً من الدراسات لا تزال تترى، جعلت من الجهوية موضوعًا لها، إلا أنَّ المقصود بالجهوية، هنا، ثقافة هذه الجهات الغالبة على أهلها، وليس بالضرورة الجهة الجغرافية. فعندما يطلق مصطلح الغرب فإنه يقصد فيه الثقافة الغربية، التي اختلط فيها الديني بالعلماني، وأضحى التفريق بينهما نظريًا أكثر من كونه تطبيقيًا؛ إذ لم يتخلَّ الغرب عن الدين، ولم يتبرَّأ منه، ولا يتوقَّع منه ذلك، فالإنجيل لا يزال يقرأ في قلاع العلمانية، وبرتابة.

الغرب، اليوم، في موقفه من الإسلام ليس غربًا واحدًا، ثقافيًّا هناك غربان؛ الغرب الأوروبي والغرب الأمريكي. والغرب الأمريكي قبل الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م (١٤٢٢/٦/٢٢هـ) غير الغرب الأمريكي بعد ذلك. فالموقف الغربي الأوروبي أفضل بمراحل من الغرب الأمريكي، ففي الغرب الأمريكي «ازدادت المواقف المتشدِّدة تعنُّتًا، وتعاظمت سطوة التعميمات المهيمنة، والإكليشيهات المزهوَّة بالانتصار». كما يقول **إدوارد سعيد**.[(١)]

عندما يُطلق مفهوم الشرق فإنَّه يُقصد فيه، بالمقابل، ثقافات شرقية من آخر اليابان شرقًا إلى المحيط الأطلسي غربًا. ولذا جرى توزيع الشرق إلى ثلاثة "شروق"؛ الشرق الأدنى والشرق الأوسط والشرق الأقصى. ويشترك الشرق الأدنى، في غالبه، والشرق الأوسط في تبنّي الثقافة الإسلامية، حتّى من قِبل الأقليات التي بقيت على دينها، تمثَّلت الثقافة الإسلامية في آدابها وسلوكيَّتها.

في: هاشم صالح، مترجم ومعدّ. **الاستشراق بين دعاته ومعارضيه**.ـ ط ٢.ـ بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٠م.ـ ٢٦١ ص.

(١) انظر: إدوارد سعيد. **الاستشراق الآن**: تمهيد لطبعة أغسطس ٢٠٠٣ احتفالاً بمرور ربع قرن على صدور الكتاب/ ترجمة حازم عزمي.ـ **فصول**.ـ ع ٦٤ (صيف ٢٠٠٤م).ـ ص ١٧٩ ـ ١٨٦.

من هنا أضحى الحديث عن الدين الإسلامي والثقافة الغربية حديثًا حيويًا، لاسيَّما مع تطوُّر الأحداث، التي أضحى للغرب أثرٌ واضحٌ فيها، في المنطقة الإسلامية. فعمدتُ إلى إدراج هذا الموضوع في هذه المقدِّمة، وإنْ كان الحديث عن الشرق والغرب، أو الإسلام والغرب، قد لا يرقى علميًا إلى مستوى الاستشراق والإسلام، إذ يغلب على الأوَّل البعد الإعلامي الذي ينحو نحو التسطيح، والافتقار إلى التوثيق الدقيق، وكأنَّ هذا الموضوع بدأ يحلُّ محلَّ الاستشراق في دراسته للإسلام، في تحوُّل ما يسمَّى فيما بعد الاستشراق.(١)

الوقفة السابعة: الإسلام وما بعد الاستشراق:

لا يظهر أنَّ الاستشراق، في دراسته للإسلام، آيل إلى الزوال، ذلك أنَّ الإسلام دين متحرِّك، لا يقف عند زمان أو مكان، وبالتالي فإنَّه يُجدَّد، كلما رانت على القلوب والأرواح الغفلة. ولذا فإنَّ الاستشراق سيجد مجالاً رحبًا فيما يمرُّ به العالم الإسلامي، والمنطقة العربية على وجه الخصوص، من أحداث متتالية، كما وجد هذا المجال في الانبعاث الإسلامي، أو الإحيائية الإسلامية، أو الصحوة الإسلامية، على اختلاف في التسميات، والبحث عن أسباب هذه الصحوة، بعثراتها، من خلال الإخفاقات التي أخضعت للتجربة الواقعية، في بعض الأقطار العربية والإسلامية، والتي أُريد لها أنْ تكون بديلاً للإسلام، كالقوميات والاشتراكية والرأسمالية، وغيرها، من جهة، أو من خلال الاحتجاج على التخلُّف، والفشل في القضاء عليه، من جهة أخرى.(٢)

---

(١) انظر: رسول مُحَمَّد رسول. **الغرب والإسلام: قراءات في رؤى ما بعد الاستشراق**.- بيروت: المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠١م.- ١٥٣ ص.

(٢) انظر: فالح عبدالجبَّار، مترجم ومعدّ. **الاستشراق والإسلام**.- دمشق: مركز الأبحاث والدراسات

كما أنَّ الأحداث الأخيرة، أعني الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م الموافق ١٤٢٢/٦/٢٢هـ، أجَّجت النظرة إلى الإسلام، لاسيَّما في أبعاده السياسية، مما أدَّى إلى «استنفار المؤسَّسات الاستشراقية التقليدية لتثوير العداء ضدَّ العرب، وعندها سيعود الاحتقان من جديد، وتعود الآلة الاستشراقية إلى سابق عهدها، بعد أنْ قطعت شوطًا في التخلّي عن طروحاتها في فضاء ما بعد الاستشراق».(١)

مع هذه المزاحمة الإعلامية للاستشراق فقد أضحى موضوعًا له الغلبة، اليوم، لدى صانعي القرار السياسي المرتبط بعلاقات الشرق بالغرب، وبدأ الإعلام يزاحم الاستشراق، وكثُرت الأفلامُ التي تسيء للإسلام.(٢) وهذا موضوع واسع، تصدّى له المتخصّصون في الإعلام، ويكتنف قدرًا من المقارنة بين الإسلام والغرب، وليس بين المسلمين والغرب. وهي مقارنة غير متوازنة؛ لأنَّ المقارنة «بين الإسلام والغرب أمرٌ غير جائز، فلا تجوز المقارنة بين دين ومجموعة بشرية، وحتى وإنْ كان المقصود هو المقارنة بين الحضارة الإسلامية والغربية، أو الثقافة الإسلامية والغربية، فإنَّ ما بين الاثنتين من اختلافات لا يدعو إلى التصادُم، ولا يفرض حتمية لهذا التصادُم».(٣)

الاشتراكية في العالم العربي، ١٩٩١م. - ١٥٢ ص. والكتاب عرض لعدد من البحوث عن الانبعاث الإسلامي من خلال ندوة عقدت في براغ في تشرين الأول ١٩٨٨م عن حركية العامل الإسلامي في بلدان الشرق عمومًا، مع تركيز خاصٍّ على البلدان العربية.

(١) انظر: رسول مُحَمَّد رسول. نقد العقل التعارُفي: جدل التواصُل في عالم متغيِّر. - بيروت: المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٥م. - ص ٦٨ - ٦٩.

(٢) انظر: شيرلي شتاينبرغ. مناهج هوليود حول العرب والمسلمين. - ص ٢٦٧ - ٢٧٩.
في: جو كينشلو وشيرلي شتاينبرغ. التربية الخاطئة: كيف يشوِّه الإعلام الغربي صورةَ الإسلام/ ترجمة حسان بستاني. - بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٥م. - ٢٩٥ ص.

(٣) انظر أحمد الجهيني ومُحَمَّد مصطفى. الإسلام والآخر. - مرجع سابق. - ص ١٩٥.

أدّى هذا التحوُّل إلى تخلّي بعض المستشرقين عن العمق الاستشراقي في الدراسات والبحوث، والميل إلى الشهرة والظهور الإعلامي من خلال التحليلات السريعة لأحداث راهنة، ولكنها ورثت أجندتها من الاستشراق، فلم تنفكّ عنه.[1] وبالتالي ظهر لدينا ما يمكن أنْ يسمَّى بالالتفاف على الاستشراق. والمستشرق **برنارد لويس** مثال حيٌّ واضحٌ على هذا التخلّي، فقد أكثر، أخيرًا، من الكتابات الإعلامية غير العميقة، المتركّزة على تشويه الإسلام والمسلمين، وحمل بقوَّة على المصطلح/ الاستشراق، ودعا إلى رميه في زبالة التاريخ، وغيره كثير من المستشرقين المعاصرين.[2]

لم يثبت على النهج الاستشراقي التقليدي إلا نفرٌ معدودون وغير مشهورين، ولكنَّهم مقتنعون بما هم عليه من نهج يتَّسم بالعمق في الدراسة والتحليل حول الإسلام. مما يعني أنَّ أثر هذه الفئة القليلة هو الباقي، امتدادًا للأثر الاستشراقي في الثقافة الإسلامية. ولا بُدَّ من ذكر نفر منهم لا يزالون يواصلون إسهاماتهم في مجال الاستشراق العميق، من أمثال المستشرقين الألمان فرتز شتيبات، ويوسف فان إس، واشتيفان فيلت، **والمستشرق الإنجليزي القسّ** وليام مونتغمري وات، **والمستشرق البريطاني** لزلي ماكلولكن، **والمستشرق الأمريكي** جون إل. إسبوزيتو، **وغيرهم.**

---

(١) انظر: طاهر عبد مسلم. **تعارُف الحضارات من أطروحات الاستشراق إلى التمركُز الإعلامي والدعاية المضادَّة**.ـ ص ١١٥ ـ ١٤١.

في: زكي الميلاد، معدّ. **تعارُف الحضارات**.ـ دمشق: دار الفكر، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.ـ ٢٢٦ ص.

(٢) انظر: علي بن إبراهيم النملة. **الالتفاف على الاستشراق: محاولة التنصُّل من المصطلح**.ـ الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامَّة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.ـ ١٨٢ ص.

مراجــع البحث :

١- آرمسترونغ، كارين. **الإسلام في مرآة الغرب: محاولة جديدة في فهم الإسلام**/ ترجمة محمد الجورا.ـ ط ٢.ـ دمشق: دار الحصاد، ٢٠٠٢م.ـ ٣٢٨ ص.

٢- أبو خليل، شوقي. **الإسلام في قفص الاتّهام**.ـ ط ٥.ـ بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.ـ ٣٦٣ ص.

٣- أبو خليل، شوقي. **أضواء على مواقف المستشرقين والمبشّرين**.ـ ط ٢.ـ طرابلس (ليبيا): جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ١٩٩٩م.ـ ٢٦٤ ص.

٤- بباوي، نبيل لوقا. **انتشار الإسلام بحدّ السيف بين الحقيقة والافتراء**.ـ القاهرة: دار البباوي، ٢٠٠٢م.ـ ١٩٢ ص.

٥- البيانوني، محمد أبو الفتح. **الشبهات المثارة حول الإسلام وموقف المسلم تجاهها**.ـ ص ٦١ ـ ٨٥.

في: دراسات استشراقية وحضارية: كتاب دوري محكّم.ـ المدينة المنورة: كلية الدعوة، مركز الدراسات الاستشراقية والحضارية.ـ ع ١ (١٤١٢هـ/١٩٩٣م).ـ ٣٩٦ ص.

٦- جاسم، ناصر عبدالرزّاق الملاّ. **الإسلام والغرب: دراسات في نقد الاستشراق**.ـ عمّان: دار المناهج، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٤م.ـ ٢٤٠ ص.

٧- الجهيني، أحمد ومحمد مصطفى. **الإسلام والآخر**.ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامّة للكتاب، ٢٠٠٥م.ـ ٢٧٦ ص.

٨- الدسوقي، محمد. **الفكر الاستشراقي: تاريخه وتقويمه**.ـ المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.ـ ١٨١ ص.

٩- رسول، رسول محمد. **الغرب والإسلام: قراءات في رؤى ما بعد الاستشراق**.ـ بيروت: المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠١م.ـ ١٥٣ ص.

١٠- رسول، رسول محمد. **نقد العقل التعارُفي: جدل التواصُل في عالمٍ متغيِّر**.ـ بيروت: المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٥م.ـ ١٢٠ ص.

١١- رودنسون، **مكسيم. الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا**.ـ ص ٤٣ ـ ٨٣.
في: هاشم صالح، مترجم ومعدّ. **الاستشراق بين دعاته ومعارضيه**. ـ ط ٢. ـ بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٠م. ـ ٢٦١ ص.
١٢- زقزوق، محمود حمدي. **الإسلام والاستشراق**. ـ القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م. ـ ٣٦ ص.
١٣- زقزوق، محمود حمدي. **الإسلام والاستشراق**.ـ ص ٧١ ـ ١٠٢.
في: نخبة من العلماء المسلمين. **الإسلام والمستشرقون**. ـ جدة: عالم المعرفة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. ـ ٥١١ ص.
١٤- زكريا، زكريا هاشم. **المستشرقون والإسلام**. ـ القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م. ـ ٦١٢ ص. ـ (سلسلة لجنة التعريف بالإسلام؛ ٢٠).
١٥- زهر الدين، صالح. **الإسلام والاستشراق**. ـ بيروت: دار الندوة الجديدة، ١٤١٢هـ/١٩٩١م. ـ ٣١١ ص.
١٦- الزيادي، محمد فتح الله. **الاستشراق: أهدافه ووسائله، دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون**. ـ طرابلس (ليبيا): المؤلّف، ١٩٩٨م. ـ ٣٣٢ ص.
١٧- الزيادي، محمد فتح الله. **انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منه**. ـ بيروت: دار قتيبة، ١٤١١هـ/١٩٩٠م. ـ ٢٠١ ص.
١٨- سعيد، إدوارد. **الاستشراق الآن**: تمهيد لطبعة أغسطس ٢٠٠٣ احتفالاً بمرور ربع قرن على صدور الكتاب/ ترجمة حازم عزمي. ـ **فصول** ع ٦٤ (صيف ٢٠٠٤م). ـ ص ١٧٩ ـ ١٨٦.
١٩- شتاينبرغ، شيرلي. مناهج هوليود حول العرب والمسلمين. ـ ص ٢٦٧ ـ ٢٧٩.
في: جو كينشلو وشيرلي شتاينبرغ. **التربية الخاطئة: كيف يشوّه الإعلام الغربي صورةَ الإسلام**/ ترجمة حسان بستاني. ـ بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٥م. ـ ٢٩٥ ص.
٢٠- العاني، عبدالقهّار داود عبدالله. **الاستشراق والدراسات الإسلامية**. ـ عمّان: دار الفرقان، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م. ـ ٢١٣ ص.

٢١- عبدالجبَّار، فالح، مترجم ومعدّ. **الاستشراق والإسلام**. ـ دمشق: مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي، ١٩٩١م. ـ ١٥٢ ص.

٢٢- عبدالحميد، عرفان. **المستشرقون والإسلام: محاولة أولية لتفهُّم الأسس التاريخية لطبيعة العلاقات الفكرية بين الإسلام والغرب**. ـ ط ٢. ـ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٠م. ـ ٢٩ ص.

٢٣- عبدالوهَّاب، أحمد. **الإسلام في الفكر الغربي: دين ودولة وحضارة**. ـ القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، ١٩٩٣م. ـ ١٤٤ ص.

٢٤- العسري، محمد عبدالواحد. **الإسلام في تصوُّرات الاستشراق الإسباني من ريموندس لولوس إلى أسين بلاثيوس**. ـ الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامَّة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. ـ ٤٢٠ ص.

٢٥- آل بن علي، أحمد بن حجر آل بو طامي. **الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب**. ـ ط ٣. ـ الدوحة: مكتبة الثقافة، ١٤٠٣هـ. ـ ٢٠٦ ص.

٢٦- العليان، عبدالله العلي. **الإسلام والغرب ما بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١**. ـ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥م. ـ ٢٠٥ ص.

٢٧- عمايرة، إسماعيل أحمد. **المستشرقون والمناهج اللغوية: المنهج التاريخي، المنهج المقارن، المنهج الوصفي، المنهج الإحصائي**. ـ ط ٢. ـ عمَّان: دار حنين، ١٩٩٢م. ـ ١٦٣ ص.

٢٨- الغمري، مكارم. **مؤثِّرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي**. ـ الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤١٢هـ/١٩٩١م. ـ ٣٢٨ ص. ـ (سلسلة عالم المعرفة؛ ١٥٥).

٢٩- غودي، جاك. **الإسلام في أوروبا**/ تعريب جوزف منصور. ـ بيروت: عويدات، ٢٠٠٦م. ـ ٢٣٢ ص.

٣٠- الفرَّا، محمد علي عمر. **الإسلام والغرب: مواجهة أم حوار!**. ـ عمَّان: دار مجدلاوي، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م. ـ ٢٢٤ ص.

٣١- فوك، يوهان. **تاريخ حركة الاستشراق: الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتّى بداية القرن العشرين**/ تعريب عمر لطفي العالم. ـ دمشق: دار قتيبة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م. ـ ٣٦٨ ص.

٣٢- قطب، محمد. **المستشرقون والإسلام**. ـ القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م. ـ ٣١٩ ص.

٣٣- ماستناك، توماش. **السلام الصليبي**/ ترجمة بشير السباعي. ـ القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣م. ـ ٥٦٨ ص.

٣٤- مسلم، طاهر عبد. **تعارُف الحضارات من أطروحات الاستشراق إلى التمركُز الإعلامي والدعية المضادَّة**. ـ ص ١١٥ ـ ١٤١.

في: زكي الميلاد، معدّ. **تعارُف الحضارات**. ـ دمشق: دار الفكر، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م. ـ ٢٢٦ ص.

٣٥- المصري، جميل عبدالله محمد. **دواعي الفتوحات الإسلامية ودعاوى المستشرقين**. ـ دمشق: دار القلم، ١٤١١هـ/١٩٩١م. ـ ١١١ ص. ـ (سلسلة بحوث في التاريخ الإسلامي؛ ٣).

٣٦- المطعني، عبدالعظيم إبراهيم محمد. **افتراءات المستشرقين على الإسلام: عرض ونقد**. ـ القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م. ـ ٢٠٨ ص.

٣٧- معلوف، أمين. **الحروب الصليبية كما رآها العرب**/ ترجمة عفيف دمشقية. ـ ط ٢. ـ بيروت: دار الفارابي، ١٩٩٨م. ـ ٣٥٢ ص.

٣٨- مليباري، محمد عبدالله. **المستشرقون والدراسات الإسلامية**. ـ الرياض: دار الرفاعي، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م. ـ ٨٣ ص.

٣٩- منصور، خيري. **الاستشراق والوعي السالب**. ـ بيروت: المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠١م. ـ ٣١٦ ص.

٤٠- الموسوي، محسن جاسم. **الاستشراق في الفكر العربي**. ـ بيروت: المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٣هـ. ـ ٢٠٦ ص.

٤١- مومزن، كاتارينا. **جوته والعالم العربي/** ترجمة عدنان عبَّاس علي، مراجعة عبدالغفَّار مكاوي. ـ الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م. ـ ٣٨٤ ص. ـ (سلسلة عالم المعرفة؛ ١٩٤).

٤٢- نجدي، نديم. **أثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر عند إدوارد سعيد ـ حسن حنفي ـ عبدالله العروي.** ـ بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٥م. ـ ٥٧٢ ص.

٤٣- الندْوي، أبو الحسن علي الحسني. الإسلاميات بين المستشرقين والباحثين المسلمين. ـ ص ١٥ ـ ٦٩.

في: نخبة من العلماء المسلمين. **الإسلام والمستشرقون.** ـ جدة: عالم المعرفة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. ـ ٥١١ ص.

٤٤- النملة، علي بن إبراهيم. **الالتفاف على الاستشراق: محاولة التنصُّل من المصطلح.** ـ الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامَّة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. ـ ١٨٢ ص.

* * *